شعبان

روى أحمد والنسائي عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: ((قلت: يا رسول الله، لم أرَك تصوم شهرًا من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر تُرفَع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأُحب أن يُرفعَ عملي وأنا صائم))،

كيف علموا كثرة صيام النبى صلى الله عليه وسلم في شهر شعبان مع أن الصيام من الأعمال الخفية التي هي سر بين العبد وربه لا يطلع عليها الناس .

إما أن النبي صلى الله عليه وسلم أطلعهم على ذلك ليقتدوا به ويعلموا فضل هذا الشهر .
أو أنهم مع شدة مصاحبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ومحاولة بحثهم عن أحوال تعبده لله عرفوا ذلك من امتناعه عن الطعام والشراب وهذا هو ظاهر الكلام ففيه مقارنة بي حال النبي صلى الله عليه وسلم في شعبان وغيره من الشهور.

وأيضا لشدة مواظبته واهتمامه صلى الله عليه وسلم بصيام شعبان لفت ذلك الأنظار إليه.

فلماذا هذا الاهتمام؟ وما هي الحوافز للاهتمام بشهر شعبان؟

أما الحافز الأول:

فلأنه شهر غفلة لكثير من الناس؛ ((ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان))، فإن الناس يهتمون بشهر رمضان لِما فيه من الفضائل، ويعظِّمون شهر رجب لمكانته وحرمته، فأراد أن يبين لهم فضيلة شهر شعبان، ولو تأملت لأحوال الناس تجد أن الكثير منهم يستعدون لشهر رمضان بإنجاز أعمالهم الدنيوية في شعبان للتفرغ لشهر رمضان؛ ومن ثَمَّ يتحول شعبان إلى شهر دنيوي بحت، وهنا تكون الغفلة.

- فيأتي شهر شعبان ليدفع أهل الإيمان عن أنفسهم تهمة الغفلة، وذلك بتعمير أوقاته بالطاعات والقربات؛ فإذا غفل الناس، فالمؤمن له شأن آخر، وإذا نام الناس، تفرد هو بالقيام، وإذا أفطر الناس، كان هو من الصائمين.

فإن العبادة تستحب وقت الغفلة لأمور:

أولها: الانفراد بعبادة الله:

فيصوم المرء حين يفطر الناس، ويقوم حين ينام الناس، ويذكر حين يغفل الناس، ويتقدم حين يحجم الناس، ويتصدق حين يبخل الناس.. فإن العبادة عند انتشار الغفلة لها أثر كبير على النفس، وأجر عظيم يناله العبد، ومحبة خاصة عند الرب.
{وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} [الفرقان: ٧٢]
وقد كان جماعة من السلف يحيون ما بين العشاءين ويقولون: هو وقت يغفل الناس عنه..
وقد جاء في حديث عمرو بن عبسة في الترمذي والنسائي قال عليه الصلاة والسلام : [أقربُ ما يكون الربُّ من العبدِ في جوفِ الليلِ الآخرِ فإنِ استطعتَ أن تكون ممن يذكرُ اللهَ في تلكَ الساعةِ فكُنْ].

ثانيها: أنها سبب لمحبة الله تعالى لهم

- ففي حديث الثلاثة الذين يحبهم الله تعالى عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله

عليه وسلم، قال: ((ثلاثة يحبهم الله، وثلاثة يبغضهم الله؛ أما الثلاثة الذين يحبهم الله، فرجلٌ أتى قومًا فسألهم بالله، ولم يسألهم بقرابة بينهم فمنعوه، فتخلف رجل بأعقابهم، فأعطاه سرًّا، لا يعلم بعطيته إلا الله، والذي أعطاه، وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يعدل به، نزلوا فوضعوا رؤوسهم، فقام أحدهم يَتَمَلَّقُنِي [الزيادة في الدعاء والتضرع] ويتلو آياتي، ورجل كان في سرية، فلقوا العدو فهزموا، فأقبل بصدره حتى يُقتَل، أو يفتح الله له))؛ [أخرجه الترمذي، والنسائي، وأحمد، واللفظ له]، فإننا حينما ننظر ونتأمل جيدًا إلى الجامع المشترك لهذه الأعمال الثلاثة، والسر في محبة الله تعالى لهم، لوجدنا أنه بعد الإخلاص لله تعالى هو الخفاء والسر واليقظة في وقت غفلة الآخرين.

ثالثها: أنه أشق على النفس:

لأنه ليس هناك من تتأسى به، فالتأسي يسهل العمل ويعين عليه، ويسلي صاحبه، وأصعب ما يكون العمل عند عدم المعين: قال عليه الصلاة والسلام] :بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء) .[رواه مسلم) وفي رواية عند الطبراني" قيل: من هم يارسول الله؟ قال: الذين يُصْلِحُونَ – وفي رواية يَصْلُحُونَ - إذا فسد الناس)).

أحدهما: من يصلح نفسه عند فساد الناس.

والثاني: من يصلح ما أفسد الناس من السنة، وهو أعلى القسمين.

رابعها: ويظفر بمضاعفة الأجور والحسنات؛ لأن الأعمال والقربات التي في غفلة الناس يعظُم أجرها وثوابها عند الله تعالى؛ فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الذي يتقرب إلى الله تعالى في الْهَرْج وأوقات الفتن أجره عظيم: ((إن من ورائكم أيامًا الصبرُ فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عملكم، قيل: يا رسول الله، أجر خمسين منا أو منهم؟! قال: بل أجر خمسين منكم))، الخطاب موجه للصحابة رضي الله عنهم؛ أي: إن للعامل في أزمان الفتن ووقت الهرج أجر خمسين منكم، ثم بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم علة ذلك بقوله: ((إنكم تجدون على الخير أعوانًا ولا يجدون))؛ [رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة].

@ وروى مسلم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ».

المراد بالهرج هنا الفتنة واختلاط أمور الناس وكثرة القتل وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها ويشتغلون عنها ولايتفرغ لها إلا أفراد.

وشبهها النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إليه؛ لأن مرجعهما هو الرجوع إلى الله تعالى عند الكفر والمعاصي بين العباد.

@ روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ ..." الحديث.

وأما الحافز الثاني للاهتمام بشهر شعبان :لأنه ميقات سنوي لرفع الأعمال إلى الله تعالى؛ ((... ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم)).

•فإن الأعمال الصالحة تُرفع إلى الله عز وجل؛ كما قال تعالى :﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾]فاطر: ١٠.[

ورفع الأعمال إلى الله تعالى على ثلاثة أنواع:

1-يُرفع إليه عمل الليل والنهار وذلك كل يوم؛ فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال: ((إن الله عز وجل لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل)).

2-رفع أعمال الأسبوع يومي الاثنين والخميس؛ ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تُعرَض الأعمال في كل اثنين وخميس؛ فيغفر الله لكل امرئ لا يشرك بالله شيئًا إلا امرأً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا))، وفي رواية الترمذي وابن ماجه: ((تُعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يُعرض عملي وأنا صائم)).

3-الرفع السنوي في شهر شعبان؛ وهو رفع أعمال السنة كلها؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((وهو شهر تُرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين)).

- فإذا كنا نعلم أن السماء تفتح كل اثنين وخميس، وتُرفع فيهما أعمال العباد إلى الله تعالى، فلنعلم أن الأعمال تُرفع إلى الله عز وجل طوال شهر شعبان.

- ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى هذه الأوقات في أكمل أحواله: ((فأحب أن يُرفع عملي وأنا صائم)).

ولماذا خص الصيام؟

- قالوا: لأن الصيام يُوقِظ الجوارح من غفلتها، فتكون في أحسن حال وأكملها عند رفع الأعمال.

- ولأنه عبادة مستمرة، ووقته ممتد بخلاف العبادات الأخرى، فإذا حدث الرفع في أي وقت، يكون متلبسًا بعبادة الصيام؛ ولذلك لم يقل: وأنا أقرأ القرآن أو أصلى أو أذكر؛ وإنما خص الصيام.

- وقالوا: لأن عبادة الصيام تستدعي معها بقية العبادات؛ فتجد أن الصائم يستيقظ للسحور، ويدرك وقت السحر، وصلاة الفجر، وغيرها من أبواب الخير.

وأما الحافز الثالث للاهتمام بشهر شعبان :لأنه شهر تقع فيه مغفرة الله تعالى لأهل الأرض.

- فقد روى ابن ماجه من حديث أبي موسى الأشعري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله تعالى لَيطلع في ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن)).

- فإذا غفر الله تعالى للعبد في شهر شعبان ظهرت آثار هذه المغفرة عليه، وهو يستقبل شهر رمضان بصفحة بيضاءَ، وفي أحسن الأحوال؛ فيزداد فيه من الاجتهاد بالطاعات والعبادات، وتحصيل أسباب المغفرة والرحمات بإذن الله تعالى.

وأما الحافز الرابع للاهتمام بشهر شعبان:لأنه خير استعداد لخير آتٍ.

•فإن شهر شعبان هو بمثابة إرشادات بين يدي شهر رمضان؛ ولذلك فإن التفريط في شعبان يؤثر على الخشوع في رمضان؛ قال أحد السلف: "رجب شهر الزرع، وشعبان شهر السقي، ورمضان شهر الحصاد"، وكان أحدهم إذا دخل شعبان، أغلق حانوته استعدادًا لرمضان.

فما هي الأعمال المستحبة في شعبان؟

أولًا :آكد هذه الأعمال وأهمها سلامة القلب؛ فإن أولى ما ينبغي علينا تفقده استعدادًا لهذه المواسم الفاضلة هو أن نتفقد قلوبنا؛ قال الله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} [ق: ٣٧]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه: ((ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب)).

♦قال ابن رجب رحمه الله: "ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كلمةً جامعة لصلاح حركات ابن آدم وفسادها، وأن ذلك كله بحسب صلاح القلب وفساده، فإذا صلح القلب صلحت إرادته، وصلحت جميع الجوارح؛ فلم تنبعث إلا إلى طاعة الله واجتناب سخطه؛ فقنعت بالحلال عن الحرام، وإذا فسد القلب فسدت إرادته، ففسدت الجوارح كلها، وانبعثت في معاصي الله عز وجل وما فيه سخطه."

ثانيًا: ومن آكد هذه الأعمال أيضًا الإكثار من الصيام.

▪فإن الصيام في شهر شعبان هو سُنَّة واقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ ((لم أرَك تصوم شهرًا من الشهور ما تصوم من شعبان ...))؛ [الحديث].

♦وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها، قالت: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول: لا يُفطِر، ويُفطِر حتى نقول: لا يصوم، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان)).

♦وفي رواية: ((يصوم شعبان كله))، وفي رواية: ((كان يصوم شعبان إلا قليلًا))؛ قال العلماء: في اختلاف الروايات يحتمل أن يكون حصل كل ذلك في أعوام مختلفة.

▪ومما يحثنا على الإكثار من الصيام في شعبان:

♦أنه من أفضل الأعمال التي تتضاعف فيها الأجور والحسنات.

♦وما من يوم يصومه العبد إلا وزادت فرصة نجاته من النار.

♦والصوم في شعبان هو بمثابة السُنَّة القبليَّة لشهر رمضان؛ فإن الله تعالى جعل لكل فريضة نافلة قبلية وبعدية.

♦والإكثار من الصيام دليل وبرهان عملي على محبة الله تعالى.

♦كذلك فرصة قضاء الفوائت من شهر رمضان الماضي.

♦وكذلك من أهم الثمرات المرجوة أن يكون خير استعداد للصيام في شهر رمضان؛ فتدخل فيه بنشاط وقوة وتتلذذ بالصيام؛ لأنك قد اعتدت عليه مبكرًا، ولعلنا نرى ونشاهد أحوال الناس أول أيام رمضان ممن لم يصوموا قبل رمضان.

ومن المسائل المهمة التي ننبه عليها مسألة الصيام إذا انتصف شهر شعبان، وخلاصة القول في المسألة كما ذكر أهل العلم:

1- من كان له صوم يعتاده، فإنه يصوم حتى ولو قبل رمضان بيوم.

2- من صام من أول الشهر، فله أن يصوم كذلك.

3- من صام بعد انتصاف الشهر، فإنه يصوم حتى قبل دخول شهر رمضان بيوم أو يومين، فإنه يتوقف.

4- أما صيام يوم الشك، فهذا محرم، إلا إذا وافق صيامًا يصومه؛ لحديث عمار بن ياسر رضي الله عنه: ((من صام اليوم الذي يشك فيه، فقد عصى أبا القاسم))؛ [رواه أبو داود، والترمذي بسند صحيح].

ثالثًا: ومن أعمال شعبان أيضًا المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها.

♦خاصة صلاتي الفجر والعشاء.

♦الحرص على إدراك تكبيرة الإحرام.

♦والإكثار من النوافل.

♦وقيام الليل ولو بركعتين.

رابعًا: ومن الأعمال أيضًا قراءة القرآن الكريم؛ فهذا أنس بن مالك رضي الله عنه يصف لنا حال المسلمين في شهر شعبان بقوله: ((كان المسلمون إذا دخل شعبان أكبُّوا على المصاحف فقرؤوها))، ويقول سلمة بن كهيل رحمه الله: "كان يُقال: شهر شعبان شهر القراء."

•وتأمل إلى الترجمة العملية لأحوالهم مع القرآن في شعبان؛ فقد كان عمرو بن قيس رحمه الله إذا دخل شهر شعبان أغلق حانوته - أي دكانه - وتفرغ لقراءة القرآن.

خامسًا: ومن الأعمال أيضًا صلة الأرحام والإصلاح بين الناس.

•فإن صلة الرحم سبب لصلة الله تعالى للواصل؛ كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ من خلقه، قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أمَا ترضَين أن أصِلَ من وصلكِ، وأقطع من قطعكِ، قالت: بلى يا رب، قال: فهو لكِ)).

•وتكون الصلة إما بالزيارة، أو بتفقدهم والسؤال عنهم، والسلام عليهم عن طريق الهاتف، وبالدعاء لهم، وهذا يملكه كل أحد، ويحتاجه كل أحد، وكذلك تكون الصلة بإصلاح ذات البين، فإذا علمت بفساد علاقة بعضهم ببعض، بادرت بالإصلاح وتقريب وجهات النظر، ومحاولة إعادة العلاقة بينهم.

•وإن قلت :وما هي علاقة صلة الأرحام والإصلاح في شعبان؟
•نقول :إنها صلة وثيقة، أليست الأعمال ترفع في شعبان إلا أعمال المتخاصمين؟! أليست المغفرة في ليلة النصف من شعبان إلا لمشرك أو مشاحن؟! فالأمر جد خطير؛ أعمال السنة كلها متوقفة ما لم تدرك صحيفتك قبل رفعها بالإصلاح والصلة.

سادسًا: ومنها التوبة إلى الله تعالى.

•فهي واجب الوقت، بل واجب العمر كله، وقد أمرنا الله تعالى بها في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ كما قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [التحريم: ٨]، وقال تعالى :﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾]النور: ٣١.[

وروى مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها)).

•ونعني بالتوبة التوبة الشاملة لجميع نواحي التقصير في حياتك اليومية؛ فتدخل بإذن الله تعالى هذا الموسم بصحيفة بيضاء نقية.

♦فما أحسن حال العبد وهو يستقبل هذا الموسم بتوبة صادقة نصوح لله عز وجل.

♦أن يستقبل هذا الموسم العظيم، وقد أقلع وتخلَّى عن ذنوبه ومعاصيه التي لطالما حرمته الكثير من أبواب الخير.

♦أن يستقبل هذا الموسم بعهد جديد وصورة جديدة؛ لأنه يريد أن يفتح صفحة جديدة مع الله تعالى؛ فلا بد أن يسبق ذلك تخلية قبل التحلية؛ فيتخلى من الذنوب والمعاصي، وذلك بالتوبة إلى الله تعالى، ثم يكون بإذن الله أهلًا لكي يتحلى بالتقوى والإقبال عليه بالطاعات والقربات.

نسأل الله العظيم أن يوفقنا للتوبة والعمل الصالح، وأن يبلغنا شهر رمضان ونحن في صحة وعافية.